

لِلْمُكْذِبِينَ ﴿١٩﴾ ثم قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به؟ كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجمانية: 6]؟. روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة يرويه: إذا قرأ ﴿وَأَلْمَسْتَ عُرْفًا﴾ ﴿١﴾ - فقرأ - فبأي حديث بعد يؤمنون؟ فليقل آمنت بالله، وبما أنزل.

تفسير سورة النبا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُرِّ فِيهِ مُخْتَلَفُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى منكرأ على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارأ لوقوعها ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ أي عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني الخبر الهائل، المفزع الباهر، أو هو القرآن، والأظهر الأول ﴿الَّذِي هُرِّ فِيهِ مُخْتَلَفُونَ﴾ ﴿٣﴾ يعني أن الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر.

﴿كَلَّا سِعَاعُونَ﴾ ﴿٤﴾ تُؤْ كَلَّا سِعَاعُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِیَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبَاعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجِبًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَاةً ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

﴿كَلَّا سِعَاعُونَ﴾ ﴿٤﴾ تُؤْ كَلَّا سِعَاعُونَ ﴿٥﴾ وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى بين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة، والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ ﴿٦﴾ أي مهددة للخلائق، ذلولأ لهم، قارة ساكنة ثابتة ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ﴿٧﴾ أي جعلها لها أوتادأ، أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا﴾ ﴿٨﴾ يعني ذكراً وأنثى، يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَرْوَاجًا لِيَتَّكِفُوا إِلَيْهَا وَيَعْتَدَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ ﴿٩﴾ أي قطعأ للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِیَاسًا﴾ ﴿١٠﴾ أي يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال تعالى: ﴿وَأَيْلًا إِذَا يَفْسُهَا﴾ [الشمس: 4] أو ﴿لِیَاسًا﴾ سكنأ. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ ﴿١١﴾ أي جعلناه مشرقأ نيراً مضيئأ ليتمكن الناس من التصرف فيه،

والذهب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارة وغير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَمَا شِدَادًا﴾ (١٢) يعني السماوات السبع في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزينها بالكواكب الثوابت، والسيارات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجِبًا﴾ (١٣) يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم. وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ من الرياح، ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [الروم: 48] أي من بينه ﴿مَاءً نَجْمًا﴾ منصباً متتابعاً. ومنه قول النبي ﷺ «أفضل الحج العج والثج» يعني صب دماء البدن. وقوله: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك ﴿حَبًّا﴾ يدخر للإنسان والأنعام ﴿وَيَنَّاكًا﴾ أي خضراً يؤكل رطباً ﴿وَجَنَّتِ﴾ أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً، ولهذا قال: ﴿وَجَنَّتِ أَلْفَاكًا﴾ (١٦) أي مجتمعة، وهذه كقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٍ وَنَخْلٍ صِنَوَانٍ وَعِزٍّ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: 4].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَقْوَابًا﴾ (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٩) وَسُورَتِ الْجِبَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١) لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا﴾ (٢٢) لَيَبِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا﴾ (٢٦)

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزداد عليه، ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ (١١) [هود: 104] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَقْوَابًا﴾ (١٨) زمراً زمراً، أو تأتي كل أمة مع رسولها، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِأُمَّتِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] عن رسول الله ﷺ: «ما بين النفتختين أربعون» قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت» قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت» قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت» قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة». ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٩) أي طرقاتاً ومسالك لنزول الملائكة ﴿وَسُورَتِ الْجِبَالِ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَوَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: 88] ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، وبعد هذا تذهب، فلا عين ولا أثر ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ (٢١) أي مرصدة معدة ﴿لِلطَّغْيِينِ﴾ وهم المردة العصاة المخالفون للرسول ﴿مَتَابًا﴾ أي مرجعاً ومقلباً ومصيراً ونزلاً ﴿لَيَبِئْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣) أي ماكينين فيها مدة من الزمان، والحقب: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة. والصحيح أنها لا انقضاء لها ﴿لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) أي لا يجدون في

جهنم برداً لقلوبهم، ولا شراباً طيباً يتغذون به ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾ استثنى من البرد الحميم، ومن الشراب العساق، فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه، وأما العساق فهو ما اجتمع فيه من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من ننته ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوا فَلَنْ تَرِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله ﷺ، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة ﴿كِذَابًا﴾ أي تكديماً، وهو مصدر من غير الفعل ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم، وكتبناها عليهم، وسنجزيمهم على ذلك، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿فَذُقُوا فَلَنْ تَرِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي يقال لأهل النار: ذوقوا ما أنتم فيه، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه، وآخر من شكله أزواج.

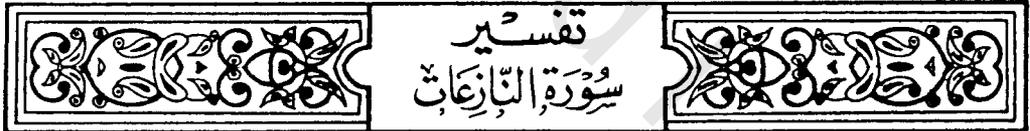
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣١﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْجَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٣﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٤﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٥﴾

يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ تنزهاً، فازوا فنجوا من النار ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين من النخيل وغيرها ﴿وَأَعْنَابًا﴾ و﴿كَوَاعِبَ أَزْجَابًا﴾ أي وحوراً كواعب، أي نواهد، يعنون أن تدين نواهد، لم يتدلين. لأنهن أبكار عرب أتراب، أي في سن واحد ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ مملوءة متتابعة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ كقوله ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيَةٌ﴾ [الطور: 23] أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به، وأعطاهموه بفضلهم ومنه إحسانه ورحمته ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي كافياً وافياً سالمماً كثيراً، تقول العرب: أعطاني فأحسبني، أي كفاني، ومنه حسبي الله أي الله كافي.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن عظمتهم وجلاله وأنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا

بإذنه كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ والمراد بالروح هنا أرواح بني آدم، أو هم بنو آدم، أو أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم، وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون، أو هو جبريل، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٧٢] ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 193]، [194]، أو الروح هو القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52] أو أنه ملك من الملائكة يقدر جميع المخلوقات ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: 105] وكما ثبت في الصحيح «ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل» ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي حقاً، ومن الحق «لا إله إلا الله» ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي الكائن لا محالة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي مرجعاً، وطريقاً يهتدي إليه، ومنهجاً يمر به عليه وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني يوم القيامة، لتأكيد وقوعه صار قريباً، لأن كل ما هو آتٍ ﴿يَوْمَ يُنظَرُ الْأَمْزَةَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي يعرض عليه جميع أعماله خيراً وشرها قديمها وحديثها، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: 49] وكقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ الْإِنْسَانَ يَوْمَ يُدْعَىٰ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [١٣] ﴿الْقِيَامَةَ: 13﴾ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً، ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة، السفارة الكرام البررة، وقيل: إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجوز حتى إنه ليقصص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم بينها، قال لها كوني تراباً، فتصير تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي كنت حيواناً فأرجع إلى التراب.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقَاتٍ﴾ ١ ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطٍ﴾ ٢ ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّاحٍ﴾ ٣ ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبَّاحٍ﴾ ٤ ﴿فَالْمُدْرِبَاتِ أَمْرًا﴾ ٥ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ ٦ ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ ٧ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ ٨ ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ ٩ ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمْرُدُّوْنَ فِي الْخَافِرَةِ﴾ ١٠ ﴿أَوْذَا كُنَّا عِظْمًا مَّخْرَجَةً﴾ ١١ ﴿قَالُوا ذَلِكَ إِذَا كُرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ١٢ ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجِدَةٌ﴾ ١٣ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ١٤ ﴿

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقَاتٍ﴾ ١ الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر، فتفرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حلت من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطٍ﴾ ٢،